

## صورة أمريكا في المخيال الروائي المعاصر رواية "الحفيذة الأمريكية" لإنعام كجه جي أنموذجا

The Image of America in the Contemporary Novelist's Inclination  
The Case of Inam Kaja Ji's *The American Granddaughter*

أ. محمد بوزياني

د. حميد بوحبيب

جامعة الجزائر 02 – أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

bouzianimohamed116@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/01/01

تاريخ الإرسال: 2021/10/16

### ملخص:

جسدت لنا رواية "الحفيذة الأمريكية" لـ "إنعام كجه جي" صورة أمريكا في المتخيل السردي العراقي المعاصر، حيث أبانت عن تأثير أمريكا في العراقيين، من خلال الاحتكاك المباشر بين الشعب العراقي والجنود الأمريكيين أثناء مرحلة الغزو الأمريكي للعراق مطلع الألفية. تبدو هذه الصورة التي تقدمها الرواية متأرجحة من خلال تبني بطلة الرواية "زينة" لهوية مزدوجة طيلة أحداث الرواية إذ لم تستطع "زينة" الإجابة عن السؤال "هل التواجد الأمريكي في العراق يعدّ اغتصابا لبغداد؟ أم تخليصا لها من نظام حكم صدام الدكتاتوري؟". نحاول مع بعض استجلاء هذه الصور ومقارنتها مع الصور النمطية السابقة عن أمريكا هل هي نفسها أم تغيرت؟

الكلمات المفتاحية: صورتية، أمريكا، عراق، هوية، أنا، آخر.

### Abstract:

The novel *The American Grand daughter* by Inam Kajah ji embodied the image of America in the contemporary Iraqi narrative imagination, as it showed the influence of America on the Iraqis, through direct contact between the Iraqi people and American soldiers during the American invasion of Iraq. We attempt to clarify these images and compare them with previous stereotypes about America. Are they the same or have they changed?

**keywords:** Imaginary, America, Identity, Iraq, I, Other.

**مقدمة:**

تعرض رواية "الحفيذة الأمريكية" للكاتبة الكردية إنعام كجه جي، لمرحلة مهمة من تاريخ العراق المعاصر، وهي مرحلة الغزو الأمريكي للعراق بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بداعي إرساء الديمقراطية وتخليص الشعب العراقي من الدكتاتورية القمعية الممارسة ضدهم من طرف نظام صدام.

تشير الرواية إلى العلاقة الحميمة والاتصال المصيري بين الإنسان والوطن، فركزت موضوعها حول النقالات التاريخية المختلفة انطلاقاً من الأحداث المؤسفة التي سادت العراق في أواخر النصف الثاني من القرن الماضي، والتي عجلت من اغتصاب عائلة زينة واستقرارها في أمريكا، وحصولها على الجنسية الأمريكية، مروراً بروجوعها إلى بلدها الأصلي كمتربة في الجيش الأمريكي، ختاماً بعودتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد وفاة الجددة. عبر وجهة نظر خاصة تدين ما يحصل في العراق بطرق سرية لا تمنح الإنسان خياراته المطروحة، وذلك من خلال سرد روائي يقوم على استخدام ضمير الغائب، وباستخدام التصوير الواقعي للأحداث عبر تقنية سينمائية تقيّد من الاسترجاع والمونولوج الداخلي، وأسلوب الرسائل عبر الإميل، والحوارات المسهبة، التي تتحول أحياناً إلى سرد طويل يعكس وجهة نظر الشخصية مباشرة، فتحيلها إلى مشاهد سردية نسجت وربت لتكوّن وقفات مشحونة بالسرد الذاتي الذي يوازن بين السرد الموضوعي القائم على شيوخ السرد بضمير الغائب لتقليل النزعة التاريخية والوثائقية المطروحة في مسار الرواية.

إشكالتنا إذن هي كيف تبلورت صورة أمريكا في رواية الحفيذة الأمريكية؟ وما هي نظرة العراقيين لهذا المهيمن؟ هل هي صورة إعجاب وانبهار وذوبان في الأدب والثقافة الأمريكية؟ أم صورة عدا و خوف؟.

**1- مدخل عن صورة أمريكا السلبية عند العرب (العراقيين):**

يمكننا استجلاء الصورة السلبية لأمريكا المجهولة عند العرب من خلال الدور الذي باتت تضطلع به بعد الحرب العالمية الثانية و بروزها اللافت على الساحة الدولية بعد خروجها من حالة الحياد، إذ ساهمت في انتصار المعسكر الغربي وتغيير موازين القوى في

العالم بالإضافة إلى وقفها إلى جانب الكيان الصهيوني في إطار ما يسمى بالحروب العربية الإسرائيلية، هذا ما عجل بالكشف عن الوجه الحقيقي لأمريكا، ثم جاءت طروحات بعض المفكرين والنقاد العرب على شاكلة "إدوارد سعيد" وعززت هذه الصورة السلبية القائمة عن أمريكا، إذ فضح مؤسسة الاستشراق والهدف منها، ووسع مجال دراسته للعلاقة بين الشرق والغرب إلى ما يعرف بالنقد الثقافي، من خلال تناوله لمواضيع عديدة "مثل النزعة العنصرية والتعصب العرقي تحديداً، ومثل الأطماع المادية الاستعمارية القائمة على الجشع المحض ومثل نشدان التسلط والسلطان لذاته، وهو ما يتجلى في بناء الإمبراطوريات، أي الإمبريالية وما إلى ذلك بسبيل"<sup>(1)</sup> حيث أبان عن رغبة دفيئة تتمثل في معاداة الغرب بصفة عامة للعرب وأمريكا على وجه الخصوص بدافع التمايز الأيديولوجي والفكري والعقائدي. من هنا بدأ موقف العرب يتحدد تجاه أمريكا وسياساتها التوسعية في العالم، وأصبحت بمثابة العدو الذي لا يؤتمن جانبه، رغم محاولتها تلميع صورتها في وسائل الإعلام والخطابات الرسمية التي تتبناها إزاء القضايا العالمية، بداعي الديمقراطية ونشر وإرساء قيم العدالة ومساعدة المستضعفين.

نلمس ذلك في رواية الحفيذة الأمريكية من خلال تمس زينة للانخراط في صفوف الجيش الأمريكي الذي سيقوم بحملة عسكرية ضد نظام الحكم في العراق (نظام صدام). أي عندما قررت الانخراط في صفوف الجيش الأمريكي كانت تقول في نفسها: "كنت أقول، مثلما تقول "فوكس نيوز"، إنني ذاهبة في مهمة وطنية.

جندية أقوم لمساعدة حكومتي وشعبي وجيشي، جيشنا الأمريكي الذي سيعمل على إسقاط صدام وتحرير شعب ذاق المر"<sup>(2)</sup>، هنا أمريكا تبذل كل ما في وسعها لتبييض صورتها وزعمها نشر الحرية عن طريق غسل دماغ المستضعفين واستغلالهم ضد بني جلدتهم.

ترتسم الصورة السلبية للعراقيين عن أمريكا بوجه واضح من خلال الأعمال الوحشية التي اقترفوها ضدّ الأبرياء العزل من مدامات وحصار وتجويع وتعذيب وسجن وتخريب حيث يظهر الوجه الحقيقي لأمريكا المعادية.

كما تتجلى لنا الصورة السلبية عن أمريكا في رواية الحفيذة الأمريكية: عند خروج زينة رفقة الجنود الأمريكيان في إحدى الليالي لإلقاء القبض على أحد المسؤولين في النظام السابق، كانوا يقولون عنه الكلب بن الكلب المحرم: يفتشون بعض البيوت ويعتدون على أهلها، كان ضمن تلك المنازل بيت المدرس بالجامعة، وكادوا يقتلونه ولكن بعدما أخرج هويته وأخبرهم أنه مدرس جديد بجامعة تكريت، وأنه ليس من تكريت وتؤكدهم من أنه ليس الشخص المطلوب، اعتذروا منه، وخلوا سبيله "أختي رجاء، اشرحي لهم أنني لست من هذه المدينة ولا أعرف أحدا هنا، هذه هي سنتي التدريسية الأولى في جامعة تكريت.

- تقدم السرجنت وانحنى أمام الرجل وصافحه قائلاً بنبرة مسرحية:

- سيدي أرجو أن تقبل اعتذاري.

- أجاب رب البيت الذي كسرنا بابه قبل ربع ساعة:

- «No problem, it's, ok»<sup>(3)</sup>

- لم يصدق الرجل أنه نجح منهم وبقي على قيد الحياة أما زينة فتأثر لما حصل له، وتدرك مدى فضاة الجنود الأمريكيين في تعاملهم مع أبناء بلدها الأصلي.

### أ- صورة الأمريكي الاستعماري والعدواني:

مع مطلع الألفية الجديدة بدأت أمريكا تركز نفسها سيدة على العالم، وفي إطار سياستها الرامية إلى بسط هيمنتها وامتداد نفوذها واختبار قوتها واستعراضها على الملأ بثت إدارة بوش استراتيجيتها للأمن القومي الرامية إلى استعمال القوة على أيّ خطر يتهدد البلد "وكرست العراق حالة اختبار حقيقية للعقيدة المعلنة حديثاً، أي اللجوء إلى القوة ساعة تشاء"<sup>(4)</sup> وكان لها ما أرادت، ودخلت إلى العراق رغم التحذيرات من المنظمات الدولية بداعي قطع الطريق أمام خطر نظام صدام الإرهابي الذي يسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل، لكن حقيقة الأمر غير ذلك.

تبين لنا رواية الحفيذة الأمريكية، استعدادات الإدارة الأمريكية لغزو العراق "قامت الحرب ... بعد أن حصل الرئيس على موافقة الكونغرس"<sup>(5)</sup> إذ أنه لم يعط أهمية لهيئة الأمم المتحدة، هذا ما يعكس لنا تعطش الإدارة الأمريكية للقيام بالحروب وافتعال الأزمات، لبث الرعب في نفوس أعدائها، وكذا توجيه الرأي العام الداخلي وإلهائه عن المشاكل الداخلية التي يعاني منها المجتمع الأمريكي باختلاف أطيافه وتركيبته المتنوعة.

تنقل لنا الرواية بشاعة المشهد القائم، في العراق بعد حصول العدوان، تواصل الكتابة سرد الأحداث على لسان "زينة" حيث تقول "كنت أنكمش وأنا أشاهد بغداد تقصف وترتفع فيها أعمدة الدخان بعد الغارات الأمريكية"<sup>(6)</sup>.

وتنتقل بنا إلى وصف حالتها أثناء مشاهدة القصف: "أقول للأخرى التي هي أنا، إن هناك أطفالا يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد"<sup>(7)</sup> ثم تعرج بنا في معرض حديثها عما يعرضه التلفزيون، إذ تقول: "والتلفزيون لا يتوقف عن شحنا بالانفعالات، إن شاشته تضخنا بالأدريين وهي تعرض مشاهد دخانية وتنقل أصوات مدافع تدوي وقتابل تنفجر ورجال يركضون هارين من الموت، أو صبية هلعين، صفر الوجوه، لكنهم يشيرون للمصور بعلامات النصر"<sup>(8)</sup>. إن الاقتباسات المذكورة سالفًا تحيلنا على بشاعة العدوان الأمريكي ومدى همجيته، فهو لم يترك منشآت قاعدية إلا وسواها بالأرض ودمرها ولا كائنات بشرية إلا وأفناها، لم يسلم منه الحجر ولا البشر ولا الطير، فعلا هذا استعمار جديد بوجه مقنع آلة الدمار تبيد الأرواح، والإعلام ووسائل الدعاية تبارك النصر المزيف على شعب أعزل.

تستمر وحشية الاستعمار الأمريكي من خلال تحطيم رموز الدولة ومن بينها قصر صدام، إذ تقول زينة "رأيت القصر مهجورا، مقصوفا ومحطما، تتناثر الأحجار في صالاته التي تجتازها مثل أشباح مبرمجة على الدهشة... إنها القيامة قد مرت من هنا"<sup>(9)</sup>، في دلالة على هول المشاهد التي تصور بشاعة الدمار والتخريب الذي خلفه الاستعمار الأمريكي إذ إن الأمريكي يعتمد على القوة والسلاح والدبابة في فرض وجوده لا على القبل والورود التي يمنحها الجنود الأمريكيان للفتيات والنساء، بل يغتصبون الأرض ومن عليها.

تجسد حضور الآخر من خلال الأمريكي الاستعماري العدواني المحرب والمدمر الذي لا يأبه لمشاعر المحيطين به أو المقيم الإنسانية النبيلة، أين الشرف؟ أين المبادئ؟ أين هو الانفتاح على الآخر وتقبله، أين هو التضاييف؟ أين هو حوار الحضارات والأديان؟.

عبرت أحداث الرواية المتتابعة عن صور أخرى للأمريكي الاستعماري في مشهد ذهاب الجنود الأمريكيان لإلقاء القبض على الشخص المطلوب إذ تقول المترجمة زينة "حين

انتصف الليل، انطلقنا إلى بيت ذلك الحقيير في ثلاث سيارات بعد أن طوقنا المحل، وترجل عشرون جنديا وحطموا البيت... كسر أربعة من الجنود الباب الحديدي للحديقة... وركلوا الباب الخشبي، وصاروا في الداخل، وفي الداخل كانت هناك أسرة نائمة<sup>(10)</sup>. مما سبق تتضح لنا همجية الجيش الأمريكي.

ونختم كلامنا بالحديث عمّا حصل في سجن "أبو غريب" الذي يفتقد لأدنى الظروف الإنسانية ولا يرقى أن يطلق عليه سجن، تجلّى ذلك عندما شاهدت زينة الصور والمشاهد عن سجن "أبي غريب" وما يتعرض له العراقيون من إذلال وإهانة فاقت الحدود حيث راح بعض الأمريكيون يبررون ذلك: "يقول إن من قاموا بهذه الأعمال هم من الجنود الجهلة وأصحاب الرتب الواطئة سمعت جنديا يصف أولئك الأولاد بالغباء، كيف سمحوا بالتقاط الصور؟ أجابه صوت أجش أنّ هؤلاء المساجين هم من عتاة القتلة، وإلا لما عوملوا بهذا الشكل"<sup>(11)</sup>، استنكرت زينة الوضع المأساوي وتذكرت حادثة تعذيب والدها ومن هذا المنطلق، اتخذ الشعب العراقي موقفا عدائيا ضدّ الأمريكان في غالبية نتيجته لواقع المعيشي عكس الذين غرر بهم ورسمت في مخيلتهم بأنّ الأمريكي عنوان للمخلّص والمحرر.

### ب- صورة الأمريكي العنصري والمتعالي:

امتدادا للصورة السلبية، وتكملة لصورة الأمريكي الاستعماري والعدواني، تأتي صورة الأمريكي العنصري، والمعادي للعرب والعراقيين على وجه التحديد بارزة من خلال سقوط القناع الذي تلم به غداة غزوه للعراق، طلبا لتأييد الرأي العام العالمي، وبعض العراقيين المعادين لنظام صدام، وأفكار حزب البعث ولأنّ الكاتبة بنت شخصية مزدوجة الهوية، فقد نشأت صورة متباينة عن الأمريكي من خلال تجربتها وأفكارها، وحتى توقعاتها وأحلامها، وبذلك بات الخيال الاجتماعي مشكلا أفق البحث عن صورة الآخر، ولعلّ ماساهم في تشكل الصورة عند "إنعام كجح جي" الصراع السياسي والعداء بين العراق وأمريكا ونتائج الإيديولوجية والثقافية.

وفي حادثة سجن أبي غريب أدركت "زينة" عنصرية الأمريكان ومعاملتهم غير اللائقة للأسرى العراقيين إذ عبرت عن تدمرها وامتعاضها من ذلك في قولها " – لأنّ شغلنا مو

تبديل تعذيب بتعذيب قتلها بصوت خافت، بالعربي بيني وبينه، ثم وقفت وكررت العبارة بالإنكليزية بصوت تعمدت أن يسمعه الآخرون، التفوا نحوي ونظروا إلي باستغراب، كأني الناطقة باسم العدو"<sup>(12)</sup>. الأمريكيون ينظرون إلى العراقيين أنهم أعداء، رغم أنهم هم الأعداء الحقيقيون، واتضح لنا عنصريتهم وتعاليمهم على الأفراد من خلال معاملتهم لهم حتى الدين لم يسلم من ذلك إذ عبثوا به واستهزؤوا برموزه، ظهر ذلك عندما "كانت ثلاث محجبات من نساء البرلمان يعترضن على شمشمة كلابنا هن... لم أفهم التمثيلية على الفور ثم قيل لي إنهم عادوا للتو من دورية حراسة في الكاظمية حيث شاهدوا مراسم عاشوراء"<sup>(13)</sup> حيث تبين أن لهم عقدة من المحجبات وربط ذلك بالإرهاب، كما أن تقليدهم الساحر لاحتفالات العراقيين بمناسبة عاشوراء يدل على عدم احترام الآخر وثقافته ودينه.

كما نجد في الرواية من خلال الصور المعبرة عن كره العراقيين للأمريكان أثناء مرور سيارات الجيش في شوارع وطرقات العراق إذ "يهدئ أصحاب السيارات من سرعتهم حالما يلمحون في المرأة سيارتنا قادمة في الطريق، يفسحون المجال ويخرجون عن التبليط أو يصعدون على الأرصفة"<sup>(14)</sup>، هذا الفعل لا ينم عن احترام وتقدير وإنما عن تكبر وتعالى الأمريكان هذه العنصرية ولدت حقدا واشتمزازا لدى العراقيين، برز ذلك جليا من خلال قول الكاتبة على لسان "زينة" "رائحة كريهة هبت من منزلة، هل نحن مقرفون إلى هذا الحد؟ المزابيل في كل الزوايا والقرف استحال، بالتدرج، حقدا كأن هناك من وزع أقتعة مسرحية شريرة على كل أهالي المدينة... إنهم يكرهوننا"<sup>(15)</sup>، هذا النوع من التعالي يواجهه المهاجر العربي في أمريكا أم الأفراد الأصليين، سواء في المعاملة أو الحقوق... إلخ، وإذا أردنا معرفة سبب هذا الكره المتبادل بين العراقي والأمريكي لأدركنا أنّ العلاقة بين الشرق والغرب غير القائمة على المساواة والندية هي بسبب ذلك، فهذا الأمريكي الإمبريالي يرى أنه سيد ومن حقه الوصاية على الآخرين والتصرف فيهم وفق ما يشاء، وهذا ما يدخلنا في حقل النقد الثقافي في محاولة منا لمعرفة آثار الاستعمار على الشعوب، فالطروحات التي جاءت بها النظرية الكولونيالية وما بعد الكولونيالية بينت لنا، مسببات النظرة الاستعمارية، والعلاقة بين المستعمر بكسر الميم والمستعمر بفتح الميم، وكذلك المهيم والمهيمن عليه بالإضافة إلى العلاقة الجدلية بين السيد والعبد... إلخ وفي الأخير ندرك بأن العنصرية والتعالى، ما هما إلا فعل يقابله ردة فعل سلبية تؤدي إلى التوتر وإحداث القطيعة بين الأنا والآخر.

## 2- صورة أمريكا الإيجابية عند العرب:

لم تقتصر صورة أمريكا والأمريكي عند العرب في الجانب السلبي فقط بل تجاوزته إلى ذكر صور إيجابية تمثلها فيما يأتي:

### أ- صورة الأمريكي المتحضر والإنساني والصادق:

إنّ ما يحسب للدراسات الأدبية المعاصرة عموماً أنها اهتمت بتسليط الضوء على إشكالية الهوية في مواجهة الآخر، حيث تكرست الصورة النمطية في الموروث الثقافي والفكري منذ القدم، وساعد في نشأتها الظروف التاريخية والسياسية بامتياز مما أدى إلى اتساع الصورة بين الأنا والآخر الذي زادت حدتها في عصرنا هذا خاصة بعدما "تركت أحداث سبتمبر 2001م بصمتها على الضمير العربي مما أرق الفكر والإبداع، لذلك من الطبيعي أن يزداد طرح إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية"<sup>(16)</sup>، فهذا الصراع الحضاري لا يزال مستمرا منذ قرون والنتيجة عدم استقرار الشعوب، ومع ذلك فقد صورت لنا بعض الروايات العربية الآخر بموضوعية، وأزاحت الستار عن الجوانب الإيجابية الموجودة فيه، وعلى سبيل التمثيل عالجنا لنا رواية الحفيدة الأمريكية حضور أمريكا دولة وشعباً وثقافة بطريقة إبداعية جاءت على النحو التالي: "كنت أقول، مثلما تقول "فوكس نيوز" إنني ذاهبة في مهمة وطنية، جنديّة أتقدم لمساعدة حكومتي وشعبي وجيشي، جيشنا الأمريكي الذي سيعمل على إسقاط صدام وتحرير شعب ذاق المر"<sup>(17)</sup> أمريكا تلمع صورتها للرأي العام العالمي تغرس في مواطنيها وباقي مواطني العالم الصورة المشرقة والمضيئة عنها، فهي الدولة المتحضرة التي لا تتوان في تقديم يد المساعدة للآخرين، أمريكا دولة متحضرة صديقة للجميع، تساعد المستضعفين في جميع أرجاء المعمورة تنشر الديمقراطية وتعزز من الحريات حلمها وأهدافها تحقيق التعايش السلمي وإرساء التقارب والاندماج الحضاري حتى أن "مساكين أهل العراق، لن يصدقوا أعينهم حين ستفتح على الحرية، حتى الشيخ العجوز منهم سيعود ولداً صغيراً وهو يرشف حليب الديمقراطية، ويتذوق طعم الحياة كما عشتها أنا هنا"<sup>(18)</sup>، الشعارات الراقية التي تبين الوجه الإيجابي لأمريكا الديمقراطية، المخلصة والمساعدة على إرساء الحريات، والقيم الإنسانية النبيلة.



في هذا المقطع السردي، الكثير من الدلالات الموحية بالتلاعب السياسي الذي تتحلى به أمريكا في حجب الأسباب الحقيقية لحرب العراق عن الرأي العام، وهذه من الأساليب التضليلية التي تتبعها الإدارة الأمريكية لتبرير ما تقوم به باسم الحرية والعدالة والنظام العالمي الجديد "لقد عودتنا الإدارة الأمريكية... التلاعب بوسائل الإعلام لتسويق وتبرير خططها الإمبريالية الجهنمية، وبعد جريمة الغزو وما ترتب عنها من مأس وأهوال اعترفت السلطة الأمريكية بعدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق"<sup>(19)</sup> والملاحظ أنّ أمريكا تفعل عكس ما تنادي به من قيم و مبادئ إنسانية.

تواصل "زينة" عرض مجموعة من الحقائق التي عاشتها داخل المجتمع الأمريكي حيث تصور لنا جانبا من الحياة في مدينة ديترويت وبعض الأوقات السعيدة التي قضتها رفقة صديقاتها وكيف أنها كانت تتحكم في زمام الأمور وتسيرها وفق إرادتها، هذا المجتمع الأمريكي المنفتح منحهم حياة جديدة، الحق في الحياة، الخروج، التسوق، التسكع، وممارستها الهوايات "في ديترويت كانت لي عصابتي، ولو أراد مخرج أن يصور عنا فيلما لاقترح عليه عنوان "عصابة زينة"، هكذا كانت والدي تسمي مجموعة الأصدقاء والصديقات اللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والسوريين الذين أتزاور معهم، وكانت بيننا مصرية وحيدة"<sup>(20)</sup>. ما كان ذلك ليتحقق في العراق البلد المعروف بالتضييق في ظل النظام السابق.

نستنتج مما سبق أنّ أمريكا بلد رحب يتسع لكلّ العرب على اختلاف أصولهم وجنسياتهم، إنّ بلد التعايش والتضاييف، بلد صديق، مأوى من لا مأوى له ولأنّ أمريكا بلد فتح الأفاق لزينة وعائلتها تتساءل كيف بإمكانها رد الجميل وتقديم مراسم الولاء والطاعة فيما يأتي: "ماذا في إمكاني أن أقدم لمساعدة بلدي في هذه المحنة؟ بأيّ وسيلة تخدم مهاجرة مثلي، لا حول لها ولا قوة، دولة أمريكا العظمى؟"<sup>(21)</sup>.

واجب على زينة ومثيلاهما التضحية من أجل الأرض التي احتضنتها وفرصة التجنيد في صفوف الجيش الأمريكي أقل شيء تقدمه، كان الحماس يصاحبها منذ الوهلة الأولى لخوض تجربة جديدة في حياتها وتقديم يد المساعدة لأهلها وتخليصهم من الظلم والطغيان، في مشهد ينم عن قمة الإنسانية التي تتحلى بها زينة الأمريكية، تحمس زينة سرعان ما اصطدم

بالواقع المر فيما بعد حيث أدركت أن أمريكا تستعمل كل الطرق لتنفيذ سياساتها التوسعية في العالم ولو تطلب ذلك الإجراءات المادية المعتبرة.

مكوث زينة بأمريكا لم يجعل منها الإنسانية المعقدة المتعلقة بل سعت إلى الانفتاح على الآخر الأمريكي، حيث ربطت علاقة مع شخص يدعى "كالفن"، واتخذت منه صديقا لها، كان بمثابة الجسر الذي يوطد العلاقة بين الشرق والغرب، بين العراق وأمريكا بين الرجل والمرأة بين الحب والحرب، وباستثناء "كالفن"، كان معظم الذين اختلط بهم من العرب. – أنت يا عزيزي ممثل للجالية الأمريكية بيننا.

وكانت تعجبه تلك المداعبة، مثلما يعجبه أي شيء أقوله، ماي كالفن، كالغني السكير الوديع، العاطل عن العمل معظم أشهر السنة، الذي يفرغ عندما يرتفع صوتي مع الأصدقاء ويتصور أننا نتشاجر<sup>(22)</sup>.

اعتبرته زينة ممثلا للجالية الأمريكية بين العرب، فقد كان الصديق الودود والحمل الوديع الذي تستند إليه، كان معجبا بها، وبكل ما تتفوه به خاضعا لمداعباتها، وكان إنسانا رقيقا مسالما لا يتحمل الأصوات المرتفعة أثناء النقاش، كان بمثابة الصديق المثالي بالنسبة لها وعزائها الوحيد الذي تفرغ عنده همها خاصة في الأيام الأولى عند التحاقها بالعراق، كانا يتبادلان الرسائل عبر الإميل بواسطة اللاتوب، كانت تشتاق إليه كثيرا، ولولا الظروف لما فرطت فيه ولبقيت بجانبه طيلة حياتها.

إعجاب زينة "بكالفن" يمثل لنا مرونة الاندماج في المجتمع الأمريكي وتفتح الآخر وسعيه لإقامة صداقات رغم اختلاف الفكر والثقافة والمعتقد.

### ب- صورة الرجل الأمريكي الوسيم والجذاب:

تعددت النماذج التي صورتها لنا الكاتبة في رواية الحفيدة الأمريكية عن الرجل الأمريكي حيث وصفته بالوسيم والجذاب من خلال تحدث البطلة زينة عن الكولونيل الأمريكي "بيترسون" الضابط في الجيش الأمريكي، وصرحت بأنه لو لم يكن ضمن القوات الأمريكية في العراق لجنى الكثير من المال لأنه يليق كممثل في هوليوود "وجدت نفسي أقف

أمام عملاق وسيم عريض الحاجبين مقلوب الذقن، ذي شعر قاتم تتلمع فيه شعيرات بيض جذابة شيء مثل بيرت لانكستر في فيلم "من هناك إلى الأبد" وقف العقيد وصافحني بكف طرية منتفخة مثل وسادة طوارئ<sup>(23)</sup> انبهرت "زينة" لشدة وسامة وجمال الضابط الأمريكي، وقدمت أوصافا له وصورته في هيئة الملك الذي يشع النور منه وراحت تسرد لنا مد يده لها ومصافحتها، حرارة اللقاء أنستها حرارة المكان، ودفء المصافحة عوضتها حرارة الاغتراب أسر قلبها وشغفها حبا، دقائق قلبها بدأت تتسارع، الخفقان والنبض غير عادي وراحت تمني نفسها مثل قصص الحب التي على شاكلة سنديلا التي يخلصها الأمير من معانقتها أو بياض الثلج التي تحظى بحبيبها بعد طول انتظار "ثم سار أمامي لكي أدور إلى الجانب الآخر من المنضدة، والتفت نحوي وأشار إلى الأرض فاتحا يديه مثل ساحر يقدم نمرة مثيرة، كان ينظر إلي لكي يرى وقع الصورة"<sup>(24)</sup> وصفته بالساحر الذي يتلاعب بالأوراق ويخلطها، ثم يقدم في الختام عرضا استثنائيا، تلك الحالة التي كانت زينة تعيشها الدهول والإعجاب والانجذاب إلى أبعد الحدود.

سعت الكاتبة في رواية الحفيدة الأمريكية إلى تقديم صورة أمينة عن الرجل الأمريكي انطلاقا من الواقع المعيشي داخل المجتمع الأمريكي وعقد مقارنة بين الحياة في الليل بين أمريكا والعراق والفرق بينهما تقول: "الساعة التي يكون فيه الشباب في أمريكا قد عادوا من العمل أو من الجامعة واغتسلوا وارتدوا ثيابا لائقة للخروج إلى المراقص وصلات الجيم والحانات"<sup>(25)</sup> بينما هي تعيش تحت إمرة الجيش وتقوم بالمداهمات الليلية التي تنظمها الدوريات الأمريكية في العراق، بالمقابل الشباب في أمريكا يكونون قد عادوا من العمل أو الجامعة، وهنا يبدأ يوم آخر بالنسبة لهم، فأمریکا الأضواء لا تنام في الليل، والرجل الأمريكي معروف بالانضباط وتنظيم الوقت، يقسم يومه بين العمل أو الدراسة في الجامعة، بينما يأتي وقت التسلية في الليل بممارسة الهوايات المفضلة كممارسة الرياضة أو الذهاب إلى قاعات الألعاب والسينما أو الرقص واحتساء الببند، فاللهو والتسكع والترويح عن النفس من الأجدديات في القاموس الأمريكي عكس الفرد العربي يشقى طول حياته ويعمل ويكدح وفي الأخير لا يأخذ حقوقه ولا يتمتع بطعم الحياة إلا في حالات ضيقة، يعاني الإحباط...

إضافة إلى كل الصور الإيجابية عن الرجل الأمريكي، ذكرت لنا الكاتبة جانبا من صور الأمريكي القذر أو الوسخ أثناء الفترة التي قضتها في مدينة تكريت، حيث وصفت لنا حال المراحيض هناك وصعوبة قضاء الحاجة فيها إلى جانب الجنود الأمريكيين حيث كانت "تراحم الجنود على بيوت راحتهم، إنهما مثل مراحيض المدارس الثانوية، قذرة وعلى جدرانها كتابات ورسوم بذئنة، وهناك دائما من يقف لك في الخارج ويتلصص عليك من الشقوق أو يتطفل بسؤال خبيث أو يحتج إذا تأخر خراؤك في النزول"<sup>(26)</sup>، ربما هذا هو حال الثكنات في ظل عدم الاستقرار: فالجندي في ساحة المعركة لو وضعت له بيت الراحة لأخذ استراحة طويلة، والحرب خدعة، وضع التأهب في كل وقت.

#### خاتمة:

يمكن رصد العلاقة بالآخر الأمريكي من خلال الصور التي تمثلت وصاحبت اللقاء بين العربي والأمريكي في رواية "الحفيدة الأمريكية"، إذ تراوحت بين الصورة السلبية للأمريكي الاستعماري العنصري والعدواني والقيبح والمتعالي، وكذا الصورة الإيجابية عن الأمريكي المتحضر والإنساني والصادق والمثقف والمنفتح والوسيم... بالإضافة إلى الصورة الضبابية التي تكون "بين بين" غير واضحة المعالم، إذ يكون إعجاب وخوف في نفس الوقت، إقدام وإعراض، تحمس للأمريكي وترقب... إلخ، مما أدى بنا إلى تقسيمها وفق ثلاثة مستويات:

**أ- فشل العلاقة بالآخر الأمريكي:** وهنا نقصد رفض إقامة أي علاقة مع الأمريكي انطلاقا من أحكام قيمية مسبقة أو صور نمطية جاهزة أو قصور في الفكر باعتبار الأمريكي مختلف عنا سواء في اللغة أو الثقافة أو الدين وما إلى ذلك من تراكمات الهيمنة الكولونيالية أو مركب النقص الناجم عن عقدة الدونية إزاء تفوق أمريكا وحضارتها وبسط سيطرتها على العالم، يتجسد لنا ذلك في رواية "الحفيدة الأمريكية" من خلال ردة فعل الجدة "رحمة" الغاضبة من "زينة" عند لقاءها بها في المعسكر وإعراضها عن الأكل والشرب كما أنّ الرواية عبرت بشكل أعمق عن رفض الاندماج بالآخر، وكان ذلك رمزيا ممثلا في عودة زينة بعد طول غياب إلى بلدها الأصلي.

- التشطي الهوياتي لازم البطلة زينة إذ تجد نفسها في مأزق أعمق عند عودتها لبلدها الأصلي كمتريجة في صفوف الأميركيان، تختار من حالة الضياع التي تعانيتها تتساءل عن سرّ تغير الأحوال وتغيّر عاداتها وطباعها، بين ماض وحاضر تعبر عن عجزها على وصف ما تراه وتعيشه تنذر من الحياة الجديدة رفقة الجنود، فهي من جهة تريد أن ترتقي بين أحضان شعبها وبلدها ومن جهة أخرى تطبق التعليمات الصارمة للجيش الأمريكي.

**ب- تواضع العلاقة مع الآخر الأمريكي:** بحيث يكون الشك والتوجس والتحفظ منطلقا للعلاقة بهذا الأمريكي لا نرفضه رفضا مطلقا إنما وقد نتقبله في بعض الأحيان، حين لا يكون على هذه الصورة أو مثلا لسبب منطقي أو مانع ديني بين قوسين، هذا الأخير لا يمثل الاختلاف في الدين وإنما من خلال ما حدث لـ"زينة" مع مهيمن نفهم المقصود. فهي تريده بشدة، وقعت في حبه، هو ربما ييادها نفس الشعور لكن المانع الديني أبي أن تتجسد العلاقة وتترجم إلى زواج رغم إصرار "زينة"، فقد كان يعلم أنها أخته من الرضاعة، وهذا سبب كاف لمنع قيام الزواج.

**ج- التحمس للعلاقة بالآخر الأمريكي:** جسده موقف كل من حيدر ورغبته في الهجرة إلى أمريكا، إذ كان يرى في زينة المخلص له من جحيم الحياة التي يعيشها في العراق. حيدر يبدو شابا منفتحا مقبلا على الحياة يتوق للحرية ممينا نفسه في اقتناص نصف فرصة لولوج العالم الآخر أمريكا الحلم، بلاد الأضواء، بلاد مادونا، بلاد الشراب المعتق. بلاد ينسى من خلالها كونه كان مخبرا لنظام صدام.

- كما أننا نلمس التحمس للقاء الآخر من خلال الصورة التذكارية الملتقطة لأفراد العائلة عند وصولهم إلى أمريكا وهذا ما يعكس مقدار الانبهار بأمريكا والهولة للارتقاء في أحضانها والخضوع لها. ما عدا الأم التي رفضت أن تتهنم وكانت متحفظة جدا.

## الهوامش والإحالات

- (1) – إدوارد سعيد، الاستشراق، تر: محمد عناني، دار بنجوين العالمية، ط2: 1995، ص06.
- (2) – إنعام كحج جي، الحفيدة الأمريكية، ط3، 2010 بيروت لبنان: ص18.
- (3) – المصدر نفسه: ص108-109.
- (4) – نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، تر: سامي الكعكي دار الكتاب العربي، بيروت لبنان 2004، ص15.
- (5) – الحفيدة الأمريكية، ص23
- (6) – المصدر نفسه، ص23
- (7) – المصدر نفسه، ص23
- (8) – المصدر نفسه، ص24
- (9) – المصدر نفسه، ص46
- (10) – المصدر نفسه، ص105
- (11) – المصدر نفسه، ص154
- (12) – المصدر نفسه، ص155
- (13) – المصدر نفسه، ص119
- (14) – المصدر نفسه، ص158
- (15) – المصدر نفسه، ص159
- (16) – ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية) المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون. الأردن. الكويت، د.ط، 2013. ص07.
- (17) – الحفيدة الأمريكية، ص18
- (18) – المصدر نفسه، ص18
- (19) – عبد الحميد عبدوس، وراء الأحداث. منشورات المجلس الإسلامي الأعلى. دط. الجزائر 2013 ص189.
- (20) – الحفيدة الأمريكية، ص22.
- (21) – المصدر نفسه، ص20
- (22) – المصدر نفسه، ص21
- (23) – المصدر نفسه، ص66
- (24) – المصدر نفسه، ص67
- (25) – المصدر نفسه، ص98
- (26) – المصدر نفسه، ص110